«ما الحد الفاصل بين ملازمة الدقة للنص الأصل، وضرورة إيجاد إيقاع في الترجمة الأدبية؟ وأقصد بذلك: متى يصح للمترجم أن يتجاوز الدقة (قليلًا) في سبيل إيجاد إيقاع مطلوب في النص، كزيادة أو حذف أو تغيير في الصياغة لا يُغيِّر المعنى؟»

أجاب عنه

الترجمان أحمد الغامدي

مثل هذا السؤال لا يصلح في الجواب عليه مقالةٌ في تلقرام، ولا يكفيه تأمل سويعات أو أيام، بل هو محتاجٌ إلى كتاب فيه تأصيل لصنعة الترجمة، يُبسط فيه القول وتجمع له الشواهد، وتكثر فيه الأمثلة كثرةً يمل منها المتصفح وينتفع بها المتدرب.. وأسأل الله أن يبارك في أعمارنا، وييسر لي كتابة شيء في هذا الباب.

ولعلي أجيب بشيءٍ يسيرٍ عامٍ هنا، إلى أن ييسر الله بسطَه وتفصيله.

لا تتوهمنَّ أني إذ دعوتك إلى تهذيب الكلام، ولزوم الفصاحة وأساليب العرب أني أدعوك إلى نقض الأصل واطّراحه إن كان فيه من عجمة المعاني شيء، بل أحب لك أن إذا أدخلتَ هذا الأعجمي إلى أرض العرب، ألا تفرِّط في تعريبه فتلبسه قبعة فوقها عمامةً قصيرة لا تبلغ كتفه، وحلةً أعجمية عليها ثوب فُويق الركبة وتحتها جنزٌ ممزق، وتجعل له نعالًا شرقيًّا فوق نعاله الأعجمية، وألا تفْرِطَ في تعريبه فتصلع رأسَه، وتلبسه عمائم البدو الأقحاح وثيابهم، وتسوِّدَ بشرته وتطلق لحيته، وتسكنه خيمةً في صحراء، وتسميه أبا عيضة وتولِدَه سعدًا ومرزوقة. بل أحب لك أن تتوسط في تعريبه، فتلبسه ثيابًا عربيةً من ثياب أهل الحاضرة من العرب، وتحسن تعميمه، وتطلق بالعربية لسانَه، مع حفظك اسمه ورسمَه، فلا يميز مجالسُه أنه أعجمي إلا من اسمه وخبره والمعاني التي يذكرها، لا من رداءة لبس ولا لكنة ارتضخها ولحنٍ لحنه.

ولستُ أرى أن يباعد المترجم معاني الأصل شبرًا، ويلزمه ما استطاع إلى لزومه سبيلًا.

ولا تحسبن أني أريد هنا معاني الألفاظ المفردة، وأريد بذلك لزوم النص

الأعجمي بأسلوبه وتراكيبه، وإنما أريد لزوم المعاني المركبة التي تكون بمجموع الكلام وجملته وسياقه. والمعاني منها:

- ما يكون ظاهرًا إلا أن أسلوب التعبير عنه أعجمي.

- ومنها ما يكون أدقَّ من ذلك مما يكون خرج عن معناه الأول إلى شيءٍ غيره، كالمجاز. وهذه المعاني التي خرجت عن معناها الظاهر إما أن تكون:

- مما يستعمله أهل اللسان ولا يلقون له بالًا.
- وإما أن تكون أريدت لذاتها.

(وبينهما أمور مشتبهات يشكل التفريق بينهما).

ولعلي أذكر لك هنا بيتين، نتدارسهما ونتأملهما، وأمثل لك بهما على هذه المعاني... وأنا لا أريد بهذين البيتين إلا الألفاظ والتراكيب والمعاني التي فيهما ولا أريد بهما النظر في ترجمة الشعر.

تأمل قول الشاعر في آل المهلب:

إن العرانين تلقاها محسدةً
ولا ترى للئام الناس حسادا

لو قيل للمجد حِد عنهم وخلِّهم
بما احتكمتَ من الدنيا لما حادا

فأما المعاني التي تكون ظاهرةَ المعنى، عربيةَ الأسلوب فكقوله: «ولا ترى للئام الناس حُسَّادا»، فإنك لو أردتَ ترجمتها إلى الإنجليزية بمثل قولك: «you do not see, of the lowly, envious people»، لما استقام لك ولما فُهم المعنى، ولو أردتَ أن ترتب الكلام وتقول: «you do not see envious

«people of the lowly people»، لم يستقم لك الكلام وإن كان معناه أوضح من الأول، وهو ركيك ممجوج.

ولا بد -إن أردتَ أن تترجمه ترجمة حسنةً- أن تنقض بناءه وتجعله على أساليب الإنجليز، مع لزومك المعنى، كأن تقول:

No one envies those who are lowly.

أو:

You cannot find anyone who feels envious towards those of lowly status.

ومثله قوله: «وخلِّهم بما احتكمتَ من الدنيا»، لا يحسن أن تقولَ فيه: «leave them, with what you choose from this world»، ولا بدَّ أن تحيد عن معاني ألفاظه المفردة وتتوسع في ترجمتها ليستقيم لك الكلام في الإنجليزية، كأن تقول:

Abandon them, and take whatever you want from this world in exchange.

(اهجرهم وخذ أي شيء تريده من هذا العالم في المقابل).

فتغير معاني ألفاظه المفردة لتبليغ معنى العبارة بأسلوب إنجليزيٍّ فصيح، أو عربيٍّ فصيح.

ولا أرى لك أن تتوسع في المعنى وتحرفه وتباعد الأصل طلبًا لحسن العبارة، كأن تقول في الأولى:

No sane mind harbours envy towards those who inhabit

the lowest, most ignoble strata of society.

وفي مثل الثانية:

If you abandon those people, I promise to be very generous with you and provide everything you desire from this world instead of being with them.

ومن فعل هذا فقد أفرط، وخير الأمور أوسطها.

وقِس على ذلك الترجمةَ إلى العربية، كأن يمر بك قول الإنجليز «have never been better than today»، فلو ترجمته بقولك: «لم أكن أبدًا أفضل من اليوم» -على عادة كثير من التراجمة- للزمت الأصل في تراكيبه، وأفسدت صياغة النص العربي، ولو قلت: «أنا اليوم في نعيمٍ وخيرٍ كثير»، لأفسدت المعنى وزدت فيه، ولو توسطت وقلت: «لم أرني قط أحسن حالًا من اليوم»، أو شيئًا قريبًا منه، لـحَسُن.

ولو مرَّ بك مثل قول الإنجليز: «have no choice except»، فترجمته بقولك: «ليس عندك اختيار إلا أن تفعل كذا»، أو «عجبًا كيف ضُيِّقت عليك الأمور حتى لم يبق لك سبيل تسلكه وأمر تأتيه إلا كذا»، لكنت بين إفراط وتفريط، وجفاء وغلو، ولو توسطتَ وقلتَ: «لا بد لك من كذا» و«ليس لك إلا كذا»، و«أنتَ مضطر إلى كذا» أو نحوها من الجمل التي تناظر معنى الجملة الإنجليزية بأسلوب عربي، لحسن.

وأكثر المعاني الذي يتكلم بها الناس من هذا الصنف، فاجتهد إلى أن توافق فيها أسلوب أهل اللغة التي تترجم إليها، وتستعمل التراكيب والألفاظ الفصيحة التي يستعملونها لتلك المعاني.

والناس تتوهم أن هذا الأمر بيِّن، ولا يُحتاج فيه إلى تنبيه، إلا أنَّا رأينا أكثر التراجمة يلزمون تراكيب الكلام الأعجمي وأفراد معانيه اللفظية ولا يكادون يفارقونها قيد أنملة، حتى غلبت هذا التراكيب الإفرنجية على كلامنا، وصرتَ ترى مَن يكتب في العربية أصالةً أن حصن كذا كان: «بسبب طرقه الوعرة وغير المعروفة غير قابل للوصول إليه من قبل الغزاة»، وفي كلام المعاصرين شيءٌ كثير من مثل هذا، لا تحصيه كثرةً.

وأذكر لك هنا نصًّا إنجليزي، ترجمه أنتَ -دربةً- قبل أن تطلع على كلامي بعده:

«In 910 there arrived in Tunisia ‘Ubaydullah, claiming to be descended from ‘Ali and Fatima. He proclaimed himself caliph, and in the next half-century his family created a stable dynasty which was given the name of Fatimids after the Prophet’s daughter Fatima. Both for religious and for political reasons it moved eastwards towards the ‘Abbasid lands, and in 969 occupied Egypt. From there it extended its rule into western Arabia and Syria, but it soon lost Tunisia. The Fatimids used both the titles imam and caliph. As imams they claimed universal authority over Muslims, and their state became a centre from which missionaries were sent. Long after the Fatimid state ceased to exist, communities created by those who had connections with it continued: in Yemen, Syria, Iran and later in western India».

تأمل قوله «انحدر من عليٍّ وفاطمة»، و«خلقوا دولة مستقرة»، و«لكنها قريبًا فقدت تونس» و«كائمة ادعوا سلطة كونية فوق المسلمين» و«طويلًا بعد أن توقف الفاطميون عن الوجود»، هذه كلها على أساليب الإنجليز، ولا تستقيم لك في العربية، ولا بد لك من التوسع في ترجمتها واطِّراح أفراد ألفاظها ومعانيها المفردة، مع لزوم المعنى المركب.

وأترجم لك هنا ترجمةً -من غير اجتهادٍ في تهذيبها- أبيِّن لك بها ما أريد من التوسع في الأساليب، مع لزوم المعاني:

«ووصل عُبيدالله إلى تونسَ سنةَ ٩١٠م (٢٩٧هـ)، وادَّعى أنه من ولد عليٍّ وفاطمة، وتسمى بالخلافة. وأقامت ذريته في خمسين سنة من بعده دولةً ثابتًا أركانها، سُميت الدولةَ الفاطمية نسبةً إلى فاطمةَ بنت النبي. ثم شرَّقوا تلقاء بلاد بني العباس، حملهم على ذلك أمرُ دينهم، وتدبير سلطانهم. فغلبوا على مصرَ سنةَ ٩٦٩م (٣٥٨هـ)، ومنها بسطوا سلطانهم على الشام، وعلى غرب جزيرة العرب، إلا أن تونسَ لم تلبث أن ذهبت من تحت أيديهم. وتلقَّب الفاطميون بالخلفاء والأئمة، وزعموا باتخاذهم لقبَ الإمام أن لهم سلطانًا على المسلمين كافة، وصارت مملكتهم مبعثًا لدعاتهم. وبقيت جماعاتٌ أسسها قومٌ من أصحاب دعوة الفاطميين في اليمن وفي فارسَ ثم في السند، واستمرت على تطاول الأمد بعد زاوال الفاطميين».

ثم تعهد الترجمة إذا فرغتَ منها واتركها مدةً حتى يذهب عنك سلطان ألفاظها، وحتى تنسى أصلها الذي يقيد فكرَك، وهذِّبها وبدِّل ألفاظها، كأن تبدل السلطان بالحكم أو الأمر أو الولاية أو السمع والطاعة، ونحو ذلك، وقلب النظر في بعض الألفاظ والجمل التي لم تستفصح وتستحسن وقعها، كالمبعث، وكـ«بقيت

جماعات أسسها قومٌ من أصحاب دعوة الفاطميين...» فإن هذا يصلح لك كثيرٌ منه عند المراجعة والتعهد.

والكتاب الذي وردت فيه هذه الفقرة تُرجم إلى العربية، وترجم صاحب الترجمة هذه الفقرة بقوله:

«وفي عام (٩١٠) وصل عبيد الله إلى تونس وأعلن أنه ينحدر من علي وفاطمة، وسمى نفسه خليفة، وفي نصف القرن التالي خلقت أسرته سلالة حاكمة مستقرة اتخذت اسم الفاطميين نسبة إلى فاطمة بنت النبي، ثم تحركوا نحو الشرق لأسباب دينية وسياسية باتجاه أراضي العباسيين وفي عام (٩٦٩) احتلوا مصر ومنها امتد حكمهم إلى غربي الجزيرة العربية وسوريا، إلا أنهم سرعان ما فقدوا تونس. واستخدم الفاطميون لقبي الإمام والخليفة، وادعوا كأئمة سلطة كونية على كل المسلمين، وأصبحت دولتهم مركزًا يرسل منه الدعاة، وبعد زمن طويل غابت الدولة الفاطمية واستمرت بعدها جماعات خلقت منها وظلت على صلات وثيقة بها وذلك في اليمن وسوريا وإيران وفي غربي الهند بعد ذلك بزمن ما».

وتأمل ما في هذه الترجمة من الألفاظ والتراكيب.

• وبعض الألفاظ والتراكيب لا تُراد على معناها الأول الذي وُضعت له، وإنما استعملت لغير ذلك مجازًا، إلا أن أهل اللغة يستعملونها ولا يلقون لحقيقة معاني ألفاظها بالًا، وهذه تتوسع في ترجمة أسلوبها وترجمة معناها.

ومنها في قول الشاعر الذي تقدم: «العرانين»، وهي جمع «العِرنين»، وهو الأنف، أو ما ارتفع من عظمه، إلا أن العرب كان تستعمل العرنين كنايةً عن الشرف والحمية والسؤدد، وعرانين القوم سادتُهم.

وقد ترجم مترجم وفيات الأعيان هذين البيتين:

إن العرانيــن تلقاهــا محســدةً
ولا تــرى للئــام النــاس حســادا

لـو قيـل للمجـد حِـد عنهـم وخلِّهـم
بمـا احتكمـتَ مـن الدنيـا لمـا حـادا

فقال:

But you always see illustrious chiefs exposed to envy whilst no one envies the vile.

وقد أحسن بترجمة العرانين بقوله: «illustrious chiefs»، ولو ترجمها بقوله «noses»، أو نحوها، لقبح.

على أن المترجم أساء في ترجمة قول الشاعر «بما احتكمتَ من الدنيا»، فقال:

Were it said to Glory: «Turn from them and leave them; since thou art all-powerful in the world» she would not obey.

وأوهام مترجم الوفيات في الشعر خاصةً كثيرةٌ طريفة.

وعلى كل حال، لا يحسن بالترجمان في ترجمة مثل هذه المعاني التي لا تُراد على حقيقتها أن يترجمها ترجمةً لفظية ويلزم أفراد معانيها، فأصحابها لم يريدوها ولم يقصدوها لذاتها، وإنما هي مما يجري على ألسنة أهل اللغة، ولا يلقون لها بالًا ولا ينظرون في معانيها اللفظية وأصل اشتقاقها، ولا يتدبرونها عند الكلام، وهي كثيرة في لغتهم، فتجدهم إذا أرادوا أن يبينوا أهمية الأمر وعظم

شأنه، قالوا هو مفتاحيّ key. وإذا أرادوا بيان أن قدرَ أمرٍ يسير جدًّا، قالوا هذا ظلٌّ من كذا. وقد رأيت من يترجم هذه الاستعمالات لفظيًّا فيقول: «وأصبح shade شخصية مفتاحية لنظرية مادية» ويقول: «دون أي ظل من الشك». ومن أمثلة هذه الألفاظ التي لا تستعمل على معناها اللفظي في الفقرة التي مرَّت عن الفاطميين، قوله: «universal كونية»، التي ترجمها المترجم بقوله: سلطة كونية على كل المسلمين، والصواب أنَّها تستعمل لبيان عموم الشيء، أي أن سلطانهم عامٌّ على المسلمين، وتعريف universal في معاجمهم:

involving everyone in the world or in a particular group.

وليس لزوم مثل هذا من الدقة، بل هو عجمة مستنكرة ممجوجة، وما أظنه لزومه أبدًا إلا تثاقلًا عن الاجتهاد في الترجمة واستسخافًا بها.

وللإنجليز عبارات من هذا الباب كثيرة، كقولهم «ظهري على الجدار» و«كلي آذان»، ونحو ذلك. وأمثال هذه الألفاظ والتراكيب التي لا تُراد على حقيقتها في العربية كثيرة، كقولنا: «ويلك» و«أكلوا لحمَ فلان» و«طعنوا فيه»، و«تكدَّر عيش فلان» و«طوَّقته كذا» و«قاتله الله»، «جعلت فداك» و«له عليَّ يد» والقسم الذي نستعمله لتوكيد الكلام.

وليست هذه الاستعمالات محصورةً في مثل هذه المجازات والكنايات والاستعارات، بل هي في كثيرٍ من الاستعمالات التي لا تُراد على معناها اللفظي، كقول الإنجليز: «Good morning, how’s everything» ليس معناه في الحقيقة إخبارًا بخيرية الصبح، وسوالًا عن كلِّ أمرٍ في هذه الدنيا، وإنما هي تحية تقال في الصبح، وسؤال عن حالك، فلو ترجمتَها بقولك: «صباح الخير، كيف كل شيء؟» لفرَّطتَ، ولو توسعت في المعنى وقلتَ: «ألا جعلَ الله صباحك هذا

صباح خيرٍ ونعمة، خبِّرني بالله عن شأنك كله وما صنعت بك الدنيا من بعدي» لأفرطتَ جدًّا، لا سيما أنك قوَّلتَ القائل ما لم يقله، وأدخلتَ في كلامه ما ليس من عرفه في شيء. إلا أن المترجم إذا ترجم مثل هذه الألفاظ والعبارات توسط وفتش عن نظيرٍ فصيحٍ موافقٍ لها في المعنى الذي استعملت له، كأن يقول: «صُبحت بالخير، كيف أنت؟»، ونحوها من الألفاظ، والناظر في السياق يتخير خير النظائر. فيتوسع المترجم في الأسلوب والتركيب ما شاء، ويلزم المعاني المركبة ما استطاع إلى لزومها سبيلًا، لا إفراط ولا تفريط.

وبعض الناس يستنكر هذا ويستحسن لزوم هذه الاستعمالات الأعجمية، يزعم أن في ذلك نقلًا لمعاني الإنجليز وتذويقًا للقارئ كلامَهم ووقفًا على أساليبهم، وهذا عجب. أرأيتَ لو أردتَ ترجمة بعض ما ذكرتُه لك من الألفاظ العربية إلى الإنجليزية بقولك: «he has a hand on me, I neck-ringed him, they ate his meat, they stabbed him» لأنكر عليك، وحق لكلِّ عاقلٍ أن ينكر عليك، إلا أنهم يستنكرون هذه الترجمة اللفظية إن كان إلى الإنجليزية، ولا يرون بها بأسًا في العربية، بل يرونها الطريقةَ المثلى، وما أدري كيف يرضون للعربية بالدنية!

وأما المعاني التي يريدها المتكلم لذاتها، فهي مما يقترحها أصحابها اقتراحًا ويولدونها توليدًا، أو مما يكون تشبيهًا نادرًا لا يستعمله الناس غالبًا إلا وهم قاصدون له بذاته، كأنَّ يشبه أحدٌ أحدًا بضربٍ من الشجر أو يضرب المثل بشيءٍ من أساطيرهم أو يذكر أسماء بعض قدمائهم، وهذه تترك على حالها ولا تُبدَّل، إذ أريدت لذاتها ولم تكن جاريةً على ألسنة أهل ذلك اللسان لا يلقون لها بالًا إذا تكلموا، كأن أقول: «كأن كلامه في حلاوته عسلُ السدر، وهو أحسن عندي من المتنبي، ولم أر أصبر منه على شدَّة وأقدر على التعلل بالقليل، كأنما هو جمل،

أو رجلٌ من صعاليك العرب» لو جعلتَ محل المتنبي شكسبيرَ ومحل العسل اسم عسلٍ حلوٍ تعرفه الإنجليز، وجعلتَ محل الجمل دابةً أو شيئًا اشتهر عندهم بالصبر والتبلّغ بالقليل، ومحل صعاليك العرب قومًا يشابهونهم عند الإنجليز، لحرَّفتَ المعنى الذي أردتُه أنا، ولم تذوق القارئ مرادي وجعلتَ الكلام كأنما هو كلام إنجليزي، ونزعتَه من أصله، وهذه التي يصح فيها أن تلزم عجمةَ معناها، لأنها أريدت لذاتها وليس مما جرى على ألسنة أهل اللغة.

وبين هذا الصنف الذي أريد لذاته، والذي قبله مما يجري على ألسنة أهل اللغة، صنفٌ يشتبه ويُشكل، فهو مما لا تعلم أتلحقه بالأول أم بالثاني، كقولنا «تمعدد»، لا تدري أأريد به التشبه بعيشة معدٍّ حقيقةً، أم أريد الاخشيشان. ومما يشكل قول الإنجليز: «beware of Greeks bearing gifts»، فما تعلم أأرادوا به التحذير من عدوٍّ يجيئك بالهدايا، أم أرادوا بذلك -مع هذا التحذير- تذكير السامع بخبر اليونان الذي لعله يعلمه. وكذلك عندنا ذكر أبي رغال وزرقاء اليمامة ونحوهم، وهذا الصنف يكون النظر فيه بحسب سياقه، وبعضه يُلحق بالقسم الأول، وبعضه يلحق بالثاني، وبعضه يلحق مرةً بالأول ومرةً بالثاني، والمترجم محتاج فيه إلى لطف نظر.

والله أعلم.

والسلام.

